

قضايا المرأة في الفن التشكيلي المعاصر أثناء فترة الحجر الصحي من خلال المهرجانات الافتراضية

د. إيمان نوري

جامعة الشاذلي بن جديد، الطارف، الجزائر

ملخص:

يعالج هذا المقال إشكالية قضايا المرأة وتجسيدها من خلال الفن التشكيلي المعاصر، خاصة من خلال الأعمال الفنية التي أُنجِزت خلال فترة الحجر الصحي، تلك الفترة التي شهدت عنفا غير مسبوق ضد المرأة من قبل الرجل الذي قرر إفراغ شحنة غضبه في المرأة، لذلك اخترنا البحث في هذا الموضوع معتمدين على اللوحات الفنية التشكيلية التي أُنجِزت خلال فترة الحجر الصحي، والتي شارك بها أصحابها في مهرجان بدر الربيع الافتراضي الدولي، متسائلين عن: أهم القضايا الخاصة بالمرأة التي عبرت عنها اللوحات الفنية المشارك بها في هذا المهرجان الافتراضي الدولي؟

كلمات مفتاحية: مهرجان فني، جمالية، لوحة، رسامة، قضايا.

Abstract:

This article treats the problematic of the women's issues and their representation through contemporary plastic art, especially through the art works carried out during the quarantine period, that period witnessed unprecedented violence against women by a man who decided to unload his on the woman.

Therefore, we chose to reserch this topic relying on plastic art painting that were made during the quarantine period, and with wich their owners participated in spring full moon festival, wondering about the most important issues expressed by the paintings participating in this international virtual festival

Keywords: art festival; aestic; painting; painter; issues.

1. مقدمة

استغل كثير من المبدعين فترة الحجر الصحي الإجبارية التي دخل العالم إليها مجبراً بعد انتشار وباء كوفيد 19، في إبداع إنتاجات مختلفة أدبية وفنية؛ لذلك قام بعض من الشباب المبدع بإقامة معرض فني افتراضي يهتم بالإبداعات الفنية التشكيلية التي أنجزت خلال فترة الحجر الصحي، وقد بلغ عدد اللوحات المشاركة أكثر من مائة عمل فني، تناول معظمها موضوعات تتعلق بفترة الحجر الصحي، وما عانى منه الأفراد خلالها.

وكانت معاناة المرأة في هذه الفترة هي أكثر ما شغل هؤلاء الرسامين، خاصة الفنانات النسويات اللواني عبرن بطرق مختلفة عن الاضطهاد والقهر والتعنيف وحالات التشطي النفسي الذي عانت منه المرأة، لذلك فنحن نتساءل:

ماهي أهم قضايا المرأة التي عالجه الفن التشكيلي؟

وماهي خصوصية هذه القضايا أثناء فترة الحجر الصحي؟

2. قضايا المرأة والفن التشكيلي:

لطالما كانت المرأة بجسدها الأنثوي المنتهك مادة هامة في الفن التشكيلي باعتبارها موديلاً للرسم، يتفنن الرسام في إبراز تفاصيله، أو يركز على ملامح الوجه الحاملة التي تعطي بعداً جمالياً للوحة الفنية، كما قد يهتم الفنان بالتعبير عن قضايا المرأة كاضطهادها من قبل الرجل، والحالات النفسية التي تمر بها؛ ذلك أن الفنان ما هو إلا "ذلك الإنسان الذي يشعر بأنه لا يكون للواقع معنى، ما لم ينتظم في نطاق عالم ما، وأن عليه هو إنما تقع مهمة اكتشاف ذلك العالم الذي لا يخرج عنه شيء، (...) وليست عبقرية الفنان في أن ينقل الواقع بأمانة، وإنما عبقريته في أن يعبر عن الواقع بعمق"⁽¹⁾؛ لذلك اختار بعض الفنانين قضية المرأة واضطهادها من قبل الرجل لتكون شغلهم الشاغل في الحياة، وموضوعهم الفني الأبرز الذي يعبرون عنه بطرق مختلفة مبرزين قضايا المرأة في المجتمع الذكوري، ومن أهم هذه القضايا:

2. 1. اضطهاد المرأة

عانت المرأة خلال قرون من الزمن من اضطهاد الرجل لها في إطار ما يسمى بالنظام الذكوري أو النظام الأبوي، هذا النظام الذي جعل من المرأة مجرد جسد يسحر بمرآه ويفتن،

جالسة تحت أمر طلباته ورغباته، ليس لها من الحقوق إلا ما من به عليها، عن غير طيب خاطر، إلى أن بدأت مجموعة من المناضلات النسويات في العالم الغربي بالمحاربة من أجل حصول المرأة على حقوقها فلم يعد الرجل هو "المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وخواصها كما فعل على مدى قرون متوالية بل صارت المرأة تتكلم وتفصح عن ذاتها وتشتهر عن إفصاحها"⁽²⁾، فبدأت الكاتبة تكتب قصصا وروايات تعبر عن التجارب التي خاضتها النساء حول العالم، من تجارب فشل أو نجاح، تجارب تحد للرجل أو استسلام لاضطهاده، كما قامت كل رسامة تمتلك موهبة الرسم من حمل ريشتها والتعبير بالأشكال والألوان عن قضايا بنات جنسها.

2. 2. محاولات المرأة للتحرر

حاولت المرأة التحرر من اضطهاد الرجل؛ لذلك هناك حديث دائم في كل الحركات النسوية "عن الحرية الشخصية للمرأة في كافة المجالات، حتى سميت هذه الحركة بتحرر المرأة لجوهرية هذا المفهوم عندها، فالمرأة حرة في العمل، حرة في اختيارها للزني، حرة في علاقاتها، حرة في حضور المناسبات، حرة في عقد العقود وفكها"⁽³⁾؛ إنها حرة في القيام بكل ما تريد القيام به، كما أنها حرة في رفض ما ترفض القيام به دون خضوع لرغبة ذكر متسلط أو مجتمع يملئ عليها أسلوب حياة لا يتماشى مع تطلعاتها، لذلك سعت المرأة بكل قوة إلى التحرر من كل قيود المجتمع الذكوري حتى تعيش الحياة التي تليق بفكرها وعقلها.

كان التركيز الأكبر للرائدات النسويات اللواتي دعين إلى تحرير المرأة هو على حرية المرأة في امتلاك جسدها، و"هي ترجمة حرفية لشعار **your body is your own** الذي ابتدئته الأنثوية الغربية، وتؤكد هذه الكتابات على أن المجتمع لا بد أن يغير قيمه ومفاهيمه ويتقبل هذه الحرية باعتبارها حقا مشروعاً لشخص يتصرف في شيء خاص به"⁽⁴⁾، وهو ما جعل الجسد الأنثوي منتهكا من قبل صانعي الإعلانات التجارية ورواد الأفلام، وعلى صفحات الكتب والروايات وبريشة الرسامين الذين رسموه وفقا لأهوائهم وما يتطلبه السوق الفنية.

3. قضايا المرأة في الفن التشكيلي من خلال منصة مهرجان بدر الربيع الافتراضي

اهتم عدد من القائمين على المشهد الفني في الجزائر بإقامة مهرجان فني عالمي بشكل افتراضي، شارك فيه عدد كبير من الرسامين الذين أسهموا بلوحات فنية قاموا برسمها خلال فترة الحجر الصحي، وقد تنوعت موضوعات أو تيمات هذه اللوحات بين لوحات تعبر عن الألم

والمرض الذي جعل الناس حبيسي منازلهم، في حين اختارت مجموعة من الفنانات التعبير عن قضايا المرأة من خلال إبداع لوحات فنية تعبر عن هذه القضايا، ومن أهمها:

3. 1. لوحات معبرة عن المرأة المضطهدة

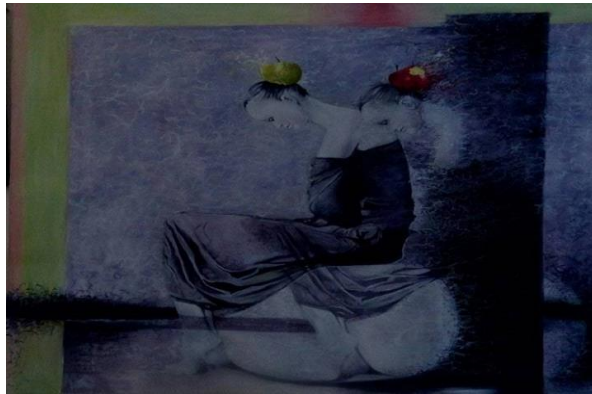
تعرضت الكثير من النساء إلى التعنيف الأسري من قبل الرجل الذي لم يحتفل بضغط الحجر الصحي، فقرر تفريغ طاقته السلبية من خلال تعنيف النساء، وقد عبرت كثير من اللوحات عن هذا الأمر من بينها:

3. 1. أ. المرأة المتشظية

*لوحة وهم الخطيئة للفنانة إيمان محمد الحسن

تمثل هذه اللوحة التي تحمل عنوان وهم الخطيئة للفنانة السورية إيمان محمد الحسن قضية من أهم قضايا المرأة منذ الأزل، ألا وهي قضية المرأة المتشظية أو المنقسمة إلى قسمين، قسم يجعلها حبيسة جسد جعلها مرتبطة في أذهان المجتمع الذكوري بوهم الخطيئة الأولى التي أخرجت سيدنا آدم -الرجل من نعيم الجنة ذات القطوف الدانية إلى جحيم الأرض، وبين المرأة التي تحاول إثبات ذاتها من خلال السعي إلى التخلص من هذه اللعنة، إلا أنها تفشل مرة بعد الأخرى في تغيير هذه الصورة النمطية عن المرأة، ولا يبقى في الأذهان إلا صورة تلك التفاحة الحمراء المقضومة التي علقت في حلق جميع الرجال إلى يوم الدين، وحملتها المرأة عارا على رأسها.

الشكل 1: إيمان محمد الحسن، لوحة وهم الخطيئة



موقع: <http://ouraction.net>، تاريخ: 24 جوان 2020 على الساعة: 17:00

***المسح البصري:**

تصور اللوحة بورتريه لامرأة لا يستر جسدها سوى لحاف أسود، وتحمل فوق رأسها تقاحة خضراء كاملة، يقف خلفها ظل امرأة تحمل الملامح الشكلية نفسها، لكن التقاحة التي تحملها على رأسها حمراء مقضومة، في إشارة إلى الخطيئة الأولى المنسوبة إلى السيدة حواء التي يقال أنها أغوت آدم وأخرجته من الجنة، في حين أن الشيطان هو الذي أغواهما وأخرجهما مما كانا فيه؛ مما أدى إلى احتقار المرأة في كل المجتمعات القديمة والديانات باستثناء الإسلام الذي كرم المرأة، وهذا "الغلو في احتقار المرأة ودونيتها، نجده في التراث الديني الغربي..

فالخطيئة الأولى -التي حملت المرأة أوزارها- في هذا التراث- مسؤولية المرأة وحدها.

والحمل والولادة واشتياق المرأة لزوجها هي عقوبة أبدية للمرأة على ارتكابها للخطيئة الأولى..

والزواج ليس مودة ورحمة، وإنما هو تسلط من الرجل على المرأة..

هكذا جاء في سفر التكوين - بالعهد القديم⁽⁵⁾؛ لذلك كان هاجس هذه الفنانة هو التعبير عن المرأة المعاصرة التي حققت أعلى المراتب العلمية والفكرية، لكنها لا يزال يُنظر إليها على أنها جسد لازالت تفوح منه رائحة الخطيئة الأولى.

***الألوان**

اعتمدت الفنانة إيمان محمد الحسن على اللونين الرمادي والأسود لأنهما لوان قاتمان، باستطاعتها التعبير عن حالة الألم والحزن الذين تعيشهما المرأة المتشظية والمنقسمة إلى أشلاء لا يمكن جمعها؛ فاللون الأسود هو حقيقة رمز الحزن والألم والموت، كما أن له دلالات نفسية مختلفة في الفن التشكيلي؛ إذ أن "من يختار الأسود في المركز الأول يريد أن يتخلى عن كل شيء ناتج عن معارضة ضد الحالة الحاضرة التي يشعر فيها بأنه لا شيء يجب أن يظل كما هو، إنه في ثورة ضد القدر أو ضد حظه على الأقل (...). ومن يختار الأسود في المقام الثاني يكون راغبا في التخلي عن كل شيء آخر"⁽⁶⁾، وهو ما أرادت الفنانة إبرازه من خلال لوحتها باختيارها اللون الأسود للتعبير عن الوهم، لأنه لون يوهمك أنك لا ترى شيئا في حين أنه يخفي كل الحقائق خلف سواده الذي يشغل أكثر من 50 بالمائة من الكتلة اللونية في اللوحة، كما أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالليل الذي هو زمن الخطيئة.

كما اختارت الفنانة إيمان الحسن اللون الرمادي ليشغل معظم ما تبقى من المساحة اللونية على اللوحة، وهو لون "خال من أي إثارة أو اتجاه نفسي، فهو لون محايد. إنه منطقة ليست أهلة ولكنها على الحدود، أشبه بمنطقة منزوعة السلاح أو أرض خلاء لا صاحب لها"⁽⁷⁾، كتعبير عن اليأس، وفقد الإحساس بالأمان في زمن فقدت فيه المصادقية.

*الخطوط

اعتمدت الفنانة إيمان الحسن على الخطوط المستقيمة بشكل ملحوظ؛ إذ جعلت من رأس المرأة في البورتريه الأصلي وفي ظله على شكل زاوية قائمة شديدة الاستقامة، في إحياء على من ينتظر قطع رأسه، وهو مستسلم لقدره المحتوم، كما أنها جعلت من الزاوية اليسرى من اللوحة هي الأخرى في هيئة زاوية قائمة باللون الأخضر تعلوها زاوية قائمة باللون الأحمر الباهت كإحياء على من تبحث في هذا العالم الملتوي على زاوية قائمة مستقيمة الأضلاع ينظر منها الرجل بعين متفحصة إلى المرأة المعاصرة بعيدا عن صورتها النمطية القديمة محاولا تخليصها من هذا التشطي والانقسام، وتمكينها بذلك من إيجاد هويتها الإنسانية الحقيقية.

* لوحة حرمك للفنانة إيمان الحسن

إيمان الحسن، لوحة حرمك



موقع: <http://ouraction.net>، تاريخ: 24 جوان 2020 على الساعة: 10: 18

إنها اللوحة الثانية للفنانة إيمان التي تعبر فيها عن قضية المرأة المتشظية أو المرأة التي فُرض عليها أن تعيش منقسمة بين عالمين عالم جميل يرضي طموحاتها ترغب في الوصول إليه وعالم ذكوري أغرقها مجتمع أبوي في وحله وأدخلها رغما عنها إلى حرمك ملك جالس على عرش تحمله أكتاف النساء.

المسح البصري

إن المتأمل في اللوحة يرى رجلا مكمم الفم ملقى على الوحل ، يظهر تحته ثلاث نسوة تحمل الأولى رأسه على صدرها شبه العاري، في حين تحمل الثانية منتصف جسده على كتفها، في حين تحمل المرأة الثالثة قدميه بيديها.

تتقسم الصورة في اللوحة إلى أقسام ثلاث، يمثل القسم السفلي منها صورة نسوة ثلاث ملتصقات في الأرض كأنهن نباتات التصقت جذورها في أرض موحلة، في حين يمثل القسم الثاني في المنتصف رجلا مكبل الفم منهك القوى داس -عن قصد منه أو عن غير قصد- على وردة بيضاء كانت ناصعة قبل أن يدوسها بقدميه، أما القسم العلوي من اللوحة فيشغله فضاء لوني أخضر تعلوه زرقة جميلة في الأفق البعيد.

الخطوط والألوان

الخطوط

تغلب على اللوحة الخطوط المتعرجة والمنكسرة المعبرة عن المرأة المنكسرة فوق طين الشقاء، تحت جثة هامدة لرجل يتحكم في مصيرها؛ إذ جاءت قدم المرأة الموجودة على اليسار في شكل زاوية حادة تتقاطع ضلعاها المنكسران، كما جاءت يد المرأة التي في المنتصف في شكل زاوية مقلوبة إلى أسفل، في إشارة إلى الموازين التي انقلبت في العلاقة بين الرجل والمرأة؛ إذ لم يعد الرجل هو الذي يحمل عبء المرأة، بل أصبحت المرأة هي التي تحمله عبئا ثقيلا على كاهلها.

الألوان

اختارت الفنانة إيمان الحسن ألوانا قليلة في لوحاتها؛ إذ ركزت على لونين شغلا المساحة الكبرى من اللوحة هما اللونان الأحمر والأخضر.

-اللون الأحمر-

عادة ما يختار الفنانون التشكيليون اللون الأحمر لما له من قوة لونية طاغية، تثير في نفس المتلقي مشاعر قوية لا يمكن مقاومتها، فمن يختار منهم اللون الأحمر "فهو ينظر إلى حيويته وإلى ما يجلبه من قوة وخبرة وامتلاء بالحياة، إنه يرتبط بالريادة والتعاون والجهد الخلاق والتطور"⁽⁸⁾؛ لذلك تلونت التربة الطينية التي رسمت فوقها الفنانة إيمان الحسن النسوة الممتشبات بالأرض باللون الأحمر الذي يرمز -كما رأينا سابقا- إلى قدرة المرأة الغربية على حمل الرجل

في البداية، وتحمل أعباء الحياة بدلا عنه، ثم رميه في وحل حياة رماها فيها فرمته هي بدورها معه وأغرقتة في طينها.

اللون الأخضر

يظهر اللون الأخضر في اللوحة في الجزء العلوي منها؛ إذ جعلته الرسامة رمزا للخلاص من هذه الثنائية الضدية وهذا التشطي الحياتي الذي تعيشه مع رجل، تحمله من جهة على رأسها أحيانا وفوق صدرها وأكتافها مرة أخرى، وترغب من جهة أخرى في التحرر من ريقه وعيش حياتها بشكل طبيعي؛ لذلك اختارت اللون الأخضر لتلون به السنابل التي نمت رغم كل شيء في الأفق البعيد العلوي، فالأخضر من الناحية النفسية يختاره المبدع الذي "يريد أن يزيد من ثقته في قيمته الذاتية، ويبرر تعاليه على من يتعامل معهم، أو من هم في مستواه، فمحتواه العاطفي الزهو (...)

الذي يختار الأخضر يحب لآرائه أن تسود، وأن يُعترف به كمثل لمبادئ أساسية ثابتة"⁽⁹⁾، وهذا ما نجده عند الفنانة إيمان الحسن التي أرادت أن تعبر عن قضية هامة من قضايا المرأة المضطهدة التي تعيش تمزقا داخليا بسبب اضطرارها لحمل رجل تريد من أعماق نفسها أن ترمي به في بقعة طينية موحلة.

3. 1. ب المرأة المعنفة

عانت المرأة طيلة عصور من الزمن من اضطهاد الرجل لها، بدعوى أنها ضعيفة خلقت كمجرد متعة له، أو بسبب أنها عبء ثقيل تحرر أهلها منه ورموه على عاتق رجل يسمى الزوج؛ لذلك عانت المرأة خاصة في المجتمعات الغربية من التعنيف اللفظي والجسدي مما ترك جروحا عميقة على جسدها وروحها، وقد زادت هذه الظاهرة أثناء فترة الحجر الصحي بسبب جائحة كوفيد 19؛ إذ وجد الرجل نفسه تحت وطأة أعباء ثقيلة لا يستطيع حملها ومسؤوليات لا يمكنه تحملها، لذلك وجه طاقته السلبية باتجاه الركن الأضعف في البيت وهو المرأة التي عانت من التعنيف الشديد، وقد عبرت اللوحات الفنية التي عُرِضت في مهرجان بدر الربيع الافتراضي عن هذا التعنيف من خلال عدد من اللوحات التي رسمت بأنامل فنانات تشكيليات، ومن بين هذه اللوحات نجد:

*لوحة Espérance للفنانة إيمان بلحاج

إيمان بلحاج، لوحة Espérance

موقع: <http://ouraction.net>، تاريخ: 23 جوان 2020 على الساعة: 10:53

شغل العنف الأسري ريثة الفنانة الفلسطينية إيمان بلحاج التي حاولت التعبير عنه من خلال اختيار امرأة تفننت الفنانة في تجريح وجهها بعلامات الضرب والتجريح التي ارتسمت خطوطا متعرجة تتمايل يمنة ويسرة من بداية اللوحة إلى آخر بقعة لونية فيها، مشكلة علامات التعنيف ضد الأنثى.

المسح البصري

بواجهنا في منتصف اللوحة صورة امرأة تحرق فينا بعلامات حزن باقية على وجهها الذي تبقع ببقع لونية مختلفة الألوان، بين أصفر مخضر وأحمر وبرتقالي، وشعرها الأسود الفاحم رمز المرأة العربية الذي اختفى خلف خطوط لونية سوداء جرحته بعمق، وشفتيها الملونتين بالأحمر الفاتح الذي صمد أمام العنف الممارس ضد هذه الأنثى.

إن لوحة Espérance والتي تعني الأمل أو التوقع، هي لوحة تنقل لنا واقع المرأة العربية التي تتوقع أن تجد ما كانت تبحث عنه عند الرجل، لكنها تفاجأ بواقع صعب لا تستطيع احتمالها، لكن الأمل يظل باديا على وجهها الذي صمد رغم الجراح الكثيرة التي تحيط به من كل جانب أملا في غد أفضل خال من الظلم والتعنيف الممارس ضد نسوة ذنبنهن الوحيد أنهم يبحثون عن سند يستندون عليه.

الخطوط

جاءت الخطوط في اللوحة باللون الأسود الذي يرمز للحزن والألم، كما أنها تتاوتت بين الخطوط المستقيمة والمنحنية، فجاءت الخطوط المستقيمة في أغلبها في الثلث العلوي الأيمن من اللوحة، أما معظم ما تبقى من الخطوط التي شغلت الثلاثة أرباع الباقية من اللوحة فقد جاءت منحنية، وكانت أشدها سوادا وأكثرها عمقا تلك الموجودة على الرقبة، فبدت كأنها علامات لمحاولات مستميتة لذبح المرأة/موديل اللوحة في مرات متتابة دون توقف أو تعب.

جاءت الخطوط السوداء العميقة في اللوحة تعبيراً عن سياط الألم التي تجلد آلام المرأة، وتذبح أحلامها مرارا وتكرارا، حتى ينجح خط منعرج ما في القضاء نهائيا على المرأة بقطع حبل وريدها الذي يغذيها بالأمل والتفاؤل لمواجهة عالم ذكوري ليس له من عمل سوى محاولة القضاء على آمالها.

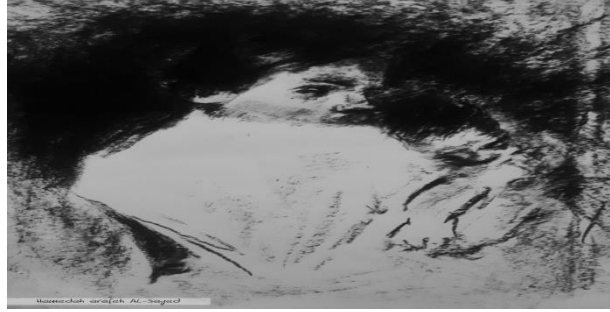
التبقيع

اعتمدت الفنانة إيمان بلحاج تقنية التبقيع، وهي تقنية فنية جمالية يعتمدها الفنانون التشكيليون من أجل إيصال رسائل معينة تحملها بقع لونية مختلفة، قد تكون أحيانا تدرجات للون واحد تبدأ من الدرجة الفاتح وصولا إلى الدرجة الداكنة من اللون نفسه، وقد تكون في أحيان كثيرة بألوان مختلفة عن بعضها تمام الاختلاف، وقد اعتمدت الفنانة إيمان الحاج هذه التقنية في لوحتها السابقة كإيحاء على بقع الدم المتخثر الناتج عن آثار الضرب والتعنيف الممارس ضد المرأة؛ لذلك جاءت البقع اللونية في اللوحة السابقة بألوان الدم المتخثر على جلد الإنسان وهو اللون الأحمر وكذا اللون البرتقالي الذي يصطبغ به الجلد بعد أن يخف موضع التورم.

جاءت تقنية التبقيع في اللوحة علامة على الآلام والتعنيف الذي تتعرض إليه المرأة، والذي لا يكاد يخف بعضه حتى تأتي يد المعنف مرة أخرى لتصب جام غضبها على جسد مورس ضده منذ فجر الإنسانية الأولى أسود أنواع التعذيب التي شكلت علامات عميقة على الجسد، وارتسمت بقعا لونية على الورق.

*لوحة امرأة على ورق للفنانة حميدة عرفة السيد

حميدة عرفة السيد، لوحة امرأة على ورق

موقع: <http://ouraction.net>، تاريخ: 23 جوان 2020 على الساعة: 12:00

عندما يزور التعنيف جسدا أنثويا ما فإنه يحذف كل ألوان الفرح والسعادة من لوحة حياة المرأة، فلا يبقى لها سوى اللون الأسود الفاحم ليرسم تفاصيل الحزن المرسومة على هذا الجسد بألوان الفجيرة التي ارتسمت معالمها على ملامح أنثى داس رجل في لحظة طيش على جسدها.

المسح البصري

تمثل اللوحة صورة امرأة مفجوعة تصرخ صرخة مدوية جعلت ملامح وجهها تتجدد وتتكمش، إنها امرأة تسند جسدها إلى شيء ما صلب ينتصب أمامها كأنها تتأى به عن محاولة اعتداء ما، ولا تلتفت إلينا إلا بوجهها الذي ارتسمت عليه ملامح ألم نتبينها بصعوبة فائقة بعد طول تحديق وتدقيق، إنها امرأة شعرها أشعث يغطي منتصف الجزء العلوي من اللوحة بالكامل.

*الألوان

لم تستخدم الفنانة السورية حميدة السيد سوى اللونين الأبيض والأسود والذين غالبا ما يأتيان مترافقين في أي عمل فني؛ ذلك أن "الأسود أعرق الألوان، وهو في الحقيقة سلب اللون نفسه. الأسود هو "لا" المضادة لـ "نعم" الأبيض (...). والأسود نفسه كسلب يمثل تخليا، يمثل الاستسلام النهائي أو الاقلاع"⁽¹⁰⁾، إنه الاستسلام النهائي الذي عبرت عنه الفنانة حميدة السيد، استسلام المرأة لسيدها، استسلامها لمعنفها الذي تعود انتهاك هذا الجسد، وتحويل بياضها ونقائها إلى سواد قائم يغطي على كل الألوان في حياتها ليلغيها إلغاء تاما وإلى الأبد.

3. 2. اللوحات المعبرة عن المرأة المتحررة

رغم هذا الكم الهائل من اللوحات التي عبرت عن العنف ضد المرأة، إلا أن هناك من الفنانات التشكيليات من تحدين الألم والحزن، وقمن بحمل ريشة مشبعة بألوان الأمل والتفاؤل من خلال اختيار موضوعات تتم عن التصالح مع الذات ومع الآخر/ الرجل الذي لم يعد معنا فقط، بل أصبح حبيباً أو سندا أو مجرد كائن آخر لا يهمها وجوده في حياتها، لأنها أصبحت مكتفية بمشاعرها وبذاتها وبعملها ولا تقيم وزناً للمجتمع.

3. 2. أ. المرأة المتصالحة مع ذاتها:

نسرین حاج خلیل، لوحة i and myself



موقع: <http://ouraction.net>، تاريخ: 21 جوان 2020 على الساعة: 10:25

عبرت بعض اللوحات التي رُسمت أثناء فترة الحجر الصحي عن تيمة المرأة المتحررة، المرأة المتصالحة مع ذاتها والمكتفية بنفسها عن سواها، وهي فكرة ممتدة عن الحركة النسوية الأمريكية التي تدعو إلى بحث المرأة عن الانفصال عن الرجل، ومحاولتها التمرکز حول ذاتها؛ أي أن تكون "مكتفية بذاتها، تود اكتشاف ذاتها وتحقيقها خارج أي إطار اجتماعي، في حالة صراع كوني أزلي مع الرجل المتمركز حول ذاته، (...) أي أنها بدأت عملية تفكيك تدريجية لمقولة المرأة كما تم تعريفها عبر التاريخ الإنساني وفي إطار المرجعية الإنسانية، لتحل محلها مقولة جديدة تماما تسمى المرأة أيضا، لكنها مختلفة في جوهرها عن سابقتها"⁽¹¹⁾؛ لذلك جاءت لوحة الفنانة نسرین حاج خليل لامرأة تحمل ملامح الفنانة نفسها، بابتسامة رضا تتم عن تصالح المرأة مع ذاتها، ورضاها عن واقعها المتمثل في حجابها وموهبتها.

***المسح البصري**

عنونت الفنانة لوحتها ب: my self and i، بمعنى نفسي وأنا، وهو عنوان يحمل الكثير من الدلالات التي تحيل مباشرة على امرأة متصالحة تماما مع نفسها؛ إذ بالتمعن في اللوحة تطالعنا الفنانة نسرين حاج خليل في بورتريه مكرر لها، يمثل القسم الأيمن من الصورة لوحة مرسومة للفنانة كأنها خرجت من اللوحة لتكون في الظل حاملة في يدها اليمنى ريشة تحدد بها ملامحها، في حين تحمل يدها اليسرى ريشة أخرى، وأمامها لوحة خشبية عليها بقع لونية مختلفة تحملها صورة خيالها الذي ارتسم كصورة فوتوغرافية حقيقية ارتسمت على اللوحة تحت حزمة ضوئية ناصعة، تبدو من خلالها تفاصيل أنثوية دقيقة متمثلة في عدد من الإكسسوارات التي تزين بها حجاب الفنانة فزاده جمالا وأناقة.

***الألوان والأشكال**

اختارت الفنانة نسرين اللونين الأبيض والأسود، فلم تختار للوحتها غيرهما، أما الأشكال فقد جاءت على هيئة رسوم لنقوش تقليدية حقيقية تترين بها ثياب النساء عادة، هي عبارة عن معينات مترابطة فيما بينها، تفصل كل مجموعة عن الأخرى طوليا خطوط متعرجة. إنها لوحة تعبر عن المرأة/ الفنانة المتصالحة مع المرأة/ الإنسانية في توليفة لونية تتبض بالأنوثة والجمال.

3. 2. ب. المرأة المتصالحة مع مشاعرها

رؤى فضل الله خليل، لوحة أهواك



موقع: <http://ouraction.net>، تاريخ: 22 جوان 2020 على الساعة: 21: 23

لا تكون المرأة دوما في حالة صراع مع الرجل من أجل إثبات الوجود، إنما هناك حالات من التصالح الجميل الذي يكون بينهما، فتبدو المرأة حينها في لحظة إشعاع كوني، تشع دفنا

ورومانية منبثقة من طاقة إيجابية كبيرة يمنحها الرجل للمرأة في لحظة صفاء وتجانس، كما هو الحال الذي عبرت عنه الفنانة رؤى فضل الله خليل في لوحتها أهواك.

المسح البصري

قامت الفنانة رؤى فضل الله خليل في لوحتها السابقة أهواك برسم فتاة منكمشة على جسدها الذي أشرفت شمس صفراء ساطعة خلفه، إنه جسد أنثوي ألبيسته الفنانة ثوبا مطرزا بأوراق الورود ذات الألوان الزاهية التي سقتها أمطار العشق الغزيرة التي انهمرت على قلبها، فأزهرت وروده.

*التبقيع

اعتمدت الفنانة رؤى فضل الله خليل بقعا لونية مختلفة، جعلت بعضها مرتسما على الجسد الأنثوي مصطبغا باللون الأحمر لون الحب والرغبات المختلفة، كما جعلت هناك بقعا لونية بتدرجات الأحمر والوردي والألوان المتدرجة عنهما، معتمدة إياها لرسم الورود المشكلة للفتان.

4. خاتمة

*شهدت فترة الحجر الصحي زخما فنيا كبيرا؛ إذ استغل الرسامون هذه الفترة التي تتسم بالهدوء والراحة بعيدا عن مغريات الحياة المختلفة من أجل إنجاز لوحات فنية يعبر بعضها عن الحجر الصحي وتداعياته على الحياة الطبيعية للإنسان المعاصر، كما اختار البعض من الرسامين خاصة النسوة منهم التعبير عن موضوعات تهم المرأة المعاصرة.

*نظم خلال شهر جوان مهرجان بدر الربيع الافتراضي الدولي الذي سعى القائمون عليه إلى تشجيع الرسامين الذين أنجزوا لوحات فنية خلال فترة الحجر الصحي على نشر هذه الأعمال من خلال منصة إلكترونية أنجزت خصيصا لهم، وكان من أبرز الموضوعات التي ناقشتها رسوماتهم قضايا المرأة التي تعرضت لتعنيف شديد من قبل الرجل، وهو ما عبرت عنه بدقة أنامل الرسامات النسويات.

5. قائمة المراجع

- (1) زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، الفجالة، مصر، دار مصر للطباعة، د.ت، ص: 40.
- (2) قاسم أمين المرأة الجديدة، القاهرة، مصر، مطبعة الشعب، 1911، ص: "أ"
- (3) مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، القاهرة، مصر، دار القلم للنشر والتوزيع، 2004، ص: 238.

- (4) مثنى أمين الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر، ص: 238، 239.
- (5) المرجع نفسه، ص: 18.
- (6) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، القاهرة، مصر، عالم الكتب للنشر والتوزيع، 1997، ص: 196.
- (7) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص: 184.
- (8) المرجع نفسه، ص: 197.
- (9) نفسه، ص: 196.
- (10) نفسه، ص: 199.
- (11) عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرير.. والتمركز حول الأنثى، الجيزة، مصر، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص: 18.